صورة الآخــر (النصراني) في الشعر الأندلسي (عصر بني الأحمر)

حمــزة عبدالســلام الختاتنــة * أ.د حمدي محمود منصور**

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٨/٨/٥م تاريخ قبول البحث:٢٠١٨/١٠/١٥م

ملخص

سعت هذه الدراسة لاستجلاء الصورة التي ظهر عليها الآخر النصراني في الشعر العربي الأندلسي فترة حكم بني الأحمر لمملكة غرناطة خلال الفترة (٦٣٨ -٨٩٧ هـ)؛ لا سيما وأنه كان يشكّل وجوداً كبيراً وعنصراً فاعلاً في المجتمع الأندلسي آنذاك. وقد حاولت هذه الدراسة إماطة اللثام عن الصورة التي جاء عليها من خلال الكشف عن الشواهد والنصوص الشعرية وسبر أغوارها، التي شكلت مادة غنية استطاعت أن تثري الإنتاج الأدبي في تلك الحقبة، هذا وقد عرضت هذه الدراسة أهم الأسباب التي كانت وراء وجود الآخر النصراني وتزايد أعدادهم في غرناطة وعن دورهم البارز في عملية النمو في كافة مجالات الحياة فقد ساهموا في دفع عجلة التجارة والاقتصاد، واحتلوا مناصب مهمة لدى أمراء المسلمين في الإدارة والجيش، وفي مقابل ذلك فقد ترك المسلمون لأهل الكتاب من النصارى حرية العقيدة والتعبد، فحافظوا على إقامة الكنائس وممارسة عقائدهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية التي وصّى عليها كتابهم المقدّس (الإنجيل) وتمسكهم بمبادئهم الدينية مثل عقيدة التثليث.

الكلمات المفتاحية: عصر بني الأحمر، الشعر الأندلسي، النصارى، صورة الآخر.

* باحث، طالب دكتوراه / الجامعة الأردنية.

** أستاذ دكتور، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

The Image of the Christian "the Other" in Andalusian Poetry at Banil-Ahmar Era

Abstract

This study aims to clarify the image of the Christian "the other" in Andalusian Arab poetry at Banil-Ahmar era in the Kingdom of Granada during the period (638-897 AH), especially as that was a great presence and an active member in the Andalusian society at that time. This study is an attempt to unveil the image that came through revealing the evidence and poetic texts and exploring its surroundings, which formed a rich material that was able to enrich literary production in that era. This study presented the most important reasons behind the presence of the other Christian and increasing numbers in Granada and their prominent role in the process of growth in all areas of life, having contributed to the progress of trade and economy, and occupying important positions in administration and army. In return, the Muslims gave the Christians freedom of religion and worship, and religious practices that had been preached in their holy book (the Bible) and touched upon their religious principles such as the doctrine of Trinitarianism.

Keywords: Banil-Ahmar era, the Andalusian poetry, the Christians, the image of the other.

المقدمة:

كان وُكْدي في هذه الدراسة تتبّع صورة الآخر النصراني في الشعر الأندلسي فترة حكم بني الأحمر، فقد كانت مملكة غرناطة تغصّ بالعناصر البشرية التي تتخذ من النصرانية ديانة لها وكان ذلك أحد الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع، فهم عنصر رئيس من عناصر

أهل الأندلس الأصليين الذين بقوا على ديانتهم في ظل الإسلام هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد كان لاكتناز دواوين الشعراء الأندلسيين في عصر بني الأحمر بالمادة الشعرية الغنية عن النصارى وديانتهم وطقوس عبادتهم ووصفها؛ الدور الكبير الذي دفعني للكتابة حول ديانة الآخر النصراني بالذات، ودور الإسلام الذي سمح لهم ببقائهم على ديانتهم وحماهم وأذنَ لهم بممارسة طقوسهم وشعائرهم دون أن يتدخل في حياتهم أحد، فعمروا الكنائس ومارسوا فيها عباداتهم بحريّة مطلقة، وقد كان ذلك واضحاً في الشعر الذي صور لنا ذلك الآخر النصراني بكافة تمثلاته.

وقد شرعتُ في هذه الدراسة بتوطئة عن الآخر وعن النصرانية والتعريف بهما في اللغة والاصطلاح، ثم انتقلت إلى تبيان الصورة التي كان عليها الآخر النصراني في الشعر فترة بني الأحمر، ومن ثم توضيح الصورة عن عقيدة التثليث لدى الآخر النصراني وتمسكه بأهم مبادئها، وأخيراً تطرّقت لذكر بعض من النماذج والشواهد الشعرية التي تثبت وقوع المسلمين في شباك الفتيات النصرانيّات والتغزّل بهن.

أهمية الدراسة وأهدافها:

تكمن أهمية هذه الدراسة في بيان أهمية الشعر الأندلسي في (عصر بني الأحمر)، كونه وثيقة ذات أهمية تاريخية رصدت وجود الآخر النصراني على اعتبار أنه أحد أفراد المجتمع الأندلسي- الذين أثبتوا فاعليتهم في الحياة الاجتماعية في تلك الفترة، وأن الآخر النصراني من أكبر المؤثرين في العملية السياسية لدرجة تطاوله على وجود المسلمين في الأندلس هذا من جهة، ومن جهة أخرى هدفت هذه الدراسة إلى إثبات أن الآخر النصراني قد تدرّج في محاولاته لاستلام زمام الأمور من عدّة نواحي وخصوصاً العسكريّة منها، إلى أن انقضّ على فريسته واستعاد الحكم على بلاد الأندلس، وذلك بسقوط آخر معاقل المسلمين هناك وهي مملكة غرناطة، وهدفت هذه الدراسة لبيان أهم الشعائر التي كانوا يقيمونها في كنائسهم وعدم اكتراثهم لمشاعر المسلمين؛ كرفع أصوات نواقيس الكنائس وتلاوة التراتيم التي تخص ديانتهم، وإقامة عقائدهم وطقوسهم الخاصّة بهم.

الدراسات السابقة:

اطّلع الباحث على الدراسات السابقة التي تناولت صورة الآخر في الأندلس وكانت على النحو التالي:

أجرت الدسوقي(٢٠١٢)[1] دراسة عن صورة الآخر في الشعر الأندلسي بشكل عام، وكان من ضمن فصول دراستها (صورة الآخر الديني) وقد عرضت فيه لصورة الآخر النصراني في الشعر الأندلسي، وتطرّقت من خلاله لعدّة محاور ومن ضمنها تمسّك النصارى بمبادئهم و احتفالهم بأعيادهم كعيد الفصح، و أدائهم لطقوسهم الدينية مستشهدة على ذلك بالشواهد الشعرية، ونقلت الصور

الفنية الشعرية في تصوير طقوس تعظيمهم لعيسى والصليب، ونقلت في محور آخر طريقة تعاملهم مع المسلمين متمثلة في اللين والرفق في معاملة الآخر.

وأجرى عبدالله (٢٠١١)[٢] دراسة عن التعايش الحضاري بين المسلم والآخر في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ: قراءة في حوار الحضارات، وتناول في أحد مباحث الفصل الرابع من الباب الأول دراسة بعنوان: (نصارى الأندلس/ التداخل والتعايش اليومي) وقد توقف الباحث للحديث عن بعض الجوانب من الحياة اليومية للنصارى في عدّة مجالات كعدم شعورهم بأدنى غربة في الأندلس، وممارستهم التجارة بحرية، فأسواق الأندلس كانت تعجّ بالنصارى وبضائع الممالك النصرانية، مثل الملابس التي كان المسلمون يلبسونها وهي من صنع النصارى، وتطرّق للحديث عن تداخل علاقات المسلمين مع النصارى كاحتفال المسلمين بليلة عيد الميلاد.

وبذلك؛ فإن هذه الدراسات كانت دراسات عامّة ولم تختصّ بعصرٍ معيّن كموضوع دراستنا الراهنة التي خصصناها بعصر بني الأحمر وقصرناها عليه.

ويستند منهج الدراسة إلى المنهج الاستقرائي التحليلي مع الأخذ بعين الحرص والاهتمام المنهج التاريخي، إذ تتبعتُ الصورة الشعرية التي رسمها الشاعر الأندلسي للآخر النصراني، فضلاً عن المنهج التطبيقي للمادة النظرية.

التمهيد:

إن مفهوم الآخر هو أحد المفاهيم السائدة منذ قرون إلا أن المعنى الدّلالي الذي يغطيه هذا المصطلح هو أكبر من ذلك المفهوم الذي يكمن في غياهب أنفس البشر، فالآخر هو كل شيء في مقابل شيء آخر.

وقد تمتّع الآخر في الأندلس بالحرية المطلقة فلم يُظلم ولم يُهجّر ولم يُنفَ ولم يُطرد من أرضه، فالآخر ومهما اختلفت ديانته أو وضعه الاجتماعي أو العرق الذي انحدر منه، كان مرحّباً به في ظل الدولة الإسلامية وحكمها العادل، وتطبيقاً للشريعة الإسلامية ذات الرسالة العادلة، رسالة الإسلام السَمْحَة التي تحلّى بها المسلمون. وسنحاول في هذه الدراسة إماطة اللثام عن هذا المفهوم الشائك، هذا وسنقدم في متن هذا الدراسة الحديث عن أهم العناصر التي كوّنت النسيج المجتمعي في الأندلس (عصر بني الأحمر) بشكل خاص، وهو الآخر النصراني.

الآخَر في اللُّغة:

جاء في لسان العرب: (الآخرَ بمعنى غَير، كقولك رجلٌ آخَرَ وثوب آخر، وورد كذلك في اللسان: الآخَرَ بالفتح: أحد الشيئين وهو اسم على أفعَلَ، والأنثى أخرى)[٣]، وجاء في معجم العين (تقول: هذا آخرِ، وهذه أخرى، والآخر: الغائب، وأما آخرُ فجماعة أخرى)[٤].

من خلال ذلك يتبين بأنه حتى ولو تعددت المفاهيم اللّغوية للأصول الجذرية لمادة الآخر؛ فهي تعني (الغير) وتعني (الأخرى) و(الآخر) وقد ورد هذا اللفظ في القرآن مرات عدّة تؤدي المعنى نفسه بدلالات مختلفة حسب موقعها من السياق النصّي.

قال تعالى في محكم تنزيله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[يوسف:٤١].

وقال تعالى: في موضع آخر: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿فعِدّةٌ من أيّام أُخَرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران:١٣].

الآخر في الاصطلاح:

إن مصطلح (آخر) في العربية هو ترجمة لمصطلح تنامى في بعض اللغات الأوروبية لا سيما الإنجليزية والفرنسية، وأصبح يردُ بوصفه بُنية لُغوية رمزية ولا شعورية تساعدَ الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليه (الآخر)[٥].

والآخر قد يكون بعيداً أو قريباً كما أنه قد يكون فرداً، أو جماعة من الجماعات، أو شعباً من الشعوب بحيث تنتفي علاقة القرب المكاني أو البعد في تحديده، أو علاقات الصداقة والعداء، فقد يكون الآخر قريباً، كما يمكن أن يكون بعيداً، وقد يكون صديقاً أو عدواً.

صورة الآخر(الصورولوجيا):

ويقصد بها دراسة الشعوب الأجنبية في الآداب القومية، فكل أدب ينطوي على نوعين من الصور: نوع يتعلق بصور كل شعب في أدبه القومي، ونوع آخر يتعلق بصورة الشعوب والأمم الأخرى في ذلك الأدب، وهذا ما يطلق عليه مفهوم الصورولوجيا أو صورة الآخر[٦].

النصرانية:

تنطوي لفظة النصرانية في كتب التراث على معانٍ عدّة، وسأحاول الوقوف عند ما يتفق والمعنى الاصطلاحي لها.

النصرانيّة لغة:

النصرانية: نَصَرَ: النّصْر: إعانة المظلوم ففي الحديث النبوي (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وتفسيره أن يمنعه من الظلم،

ونَصـّرانَه بالشـام ويقـال لهـا، نـاصرة ونصورية، ونصـري، والنصارى منسـوبون إليهـا، أو جمـع نصـران كالنـدامي جمـع ندمان أو جمـع نصرى، كمهـري ومهـارى، والنصرانية والنصـرانة: واحـدة النصـارى، والنصرانية أيضاً ديـنهم، ويقـال نصـراني وأنصار، وتنصّر- دخـل في ديـنهم، ونصّـره تنصيراً جعله نصرانياً، والتنصّر- الـدخول في النصرانية، ثم أطلق النصراني على كـل مـن تعبد بهذا الدين.[٧]

النصرانيّة اصطلاحاً:

النصرانية هي الديانة التي أنزلت عـلى عيسـى مكملـة لرسـالة مـوسى -علـيهما السـلام- متمّمـة لمـا جـاء في التـوراة مـن تعاليم موجهة إلى بني اسرائيـل داعيـة إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي لكنهـا سرعان ما فقدت أصولها، مـما سـاعد عـلى امتداد يد التحريف إليهـا حيـث ابتعـدت كثـيراً عـن صـورتها السـماوية الأولى لامتزاجهـا بمعتقـدات وفلسـفات وثنيـة. وسموا بذلك لانتسابهم لعيسى عليه السلام الذي ينسب بدوره إلى قرية الناصرة أو النصـران مـن قـرى الجليـل بفلسـطين، وقـد نسـب عيسى عليه السلام إلى الناصرة لأنه ربي فيها، كـما جاء في الإنجيل (يسوع الناصري)[٨].

كما تعرف النصرانية بالمسيحية وكلمـة مسيحية اسم يدل على الـدين الـذي جـاء بـه عيسـى عليه السلام وترجـع في نسـبتها إلى المسيح[٩]، فكلمـة نصـرانية تفيـد الدلالـة على الديانة التي جاء بها عيسى ابن مـريم عليه السلام، وبما جـاء فيهـا مـن عقائـد وشرائـع وأخلاق، جمع من أتباعـه وحواريـه سـموا (نصـارى) وتوارثـت هـذا الإيمـان الأجيـال المتتابعـة عـبر القـرون.[١٠] وفي التنزيـل الحكيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾[الصف:١٤].

وفي ضَـوء مـا سـبق فـإن المفهـوم الاصـطلاحي للنصرانية بأبعـاده الدينيـة يتسق مع المفهـوم اللغـوي ليـدل عـلى أن هـذه التسـمية أتـت في مكانهـا الصـحيح وليس عبثـاً، فكـما أن النصـر هـو إعانـة المظلـوم، فكـذلك الديانـة النصـرانية في شريعتها الموثقة في الكتـاب المقـدّس هـي تدعو لنصرة المظلـوم، ومـن جهـة أخـرى فقد اتفقـت تسـمية النصـارى في الجانـب اللغوي مع مكان ظهورها لأول مرّة وهـي ما اعتادت عليه العرب في تسمية الشـيء بمكـان نشـأته لأول مـرّة، فالنـاصرة هـي مكان مولد سيدنا عيسى عليه السلام وإليها تمـت نسبته.

ونلحظ في ضوء ما تقدّم أن ثمّـة علاقـة وطيـدة بـين المعنـى اللغـوي والمعنـى الاصـطلاحي، إذ حـافظ عـلى الـدلالات اللغوية الرئيسة التي تناولتها كتب الـتراث كالقاموس المحيط للفيروز آبادي وغيره.

أولاً: النصارى في الأندلس

"لمّـا تقلّـص ظـلّ الإسـلام بـالجزيرة، أعادها الله للإسلام، واستردّ الكفار، دمرهم

اللـه، أكـثر أمصـارها وقراهـا، عـلى وجـه العَنوة والصلح والاستسلام، لم يزل العلـماء والكتـاب والـوزراء يحركـون حميـات ذوي البصائر والأبصار، يستنهضون عَزَماتهم من كل الأمصار"[١١].

فمن ذلك ما كتب به الكاتـب الـرئيس أبو عبدالله بن زَمرك رحمـه اللـه لمـا نـزل المسـلمون بـآخر مـرج غرناطـة، متـوجهين لفـجّ خـير: "اعلمـوا أنـا نَـذكر لكـم مـا لا يغيب عـن أديـانكم وأحسـابكم؛ إن هـذا الجهـاد وليمـة دعـا اللـه عبـاده إليهـا، وحضّـهم عليهـا، فالآيـات في المصـاحف مسـطورة، والأحاديـث مشـهورة، لبيـع النفـوس فيهـا مـن الـرحمن، وبـذل المهـج رغبة في حصول ثواب الملك الـديّان، ينـزّل الله فيها الملائكة المسوّمين، وتفـرح الحـور العـين، وتَسـحُ الرحمـة مـن رب العـالمين، ويباهي اللَـه ملائكتـه بالمجاهـدين، وقـد تضافرت تلك النصوص وكفى شرفاً الفـوز بمحبة الله في قولـه: ﴿إن الله يُحب الذين يقاتلون فى سـبيله صـفاً كـأنّهم بُنيـان مرصـوص﴾ الصـف:٤]؛ فينبغـي فيـه الاسـتغفار مـن سـالف الـذنوب وتطهـير السرائر والقلوب، واجتماع الأيدي والكلمة في مَرضات علاّم الغيوب"[١٢].

هـذا وقـد أطلـق عـلى النصـارى في الأندلس عدة أسماء منها:

أ- المُسْتَعْرِبُون:

وهم المسيحيون الإسبان الـذين عاشـوا مع المسلمين في القواعد والثغور الإسلامية، وكـانوا يعرفـون بالنصـارى المعاهـدين، وسـموا المسـتعربين لأنهـم تعلمـوا لغـة العرب وشعرهم وآدابهم وتزيوا بزيهم.[١٣] وقـد أنشـئ لهـم تحـت رعايـة الحكومـة الإسلامية بقرطبـة عـلى عهـد الحكـم ابـن هشام ديوان خاص يدير شـؤونهم ويرعـى مصـالحهم يسـمى: (قـومس أهـل الذمـة) وكـان يتـولاه أحبـار النصـارى في الأنـدلس يسمون القمامسـة، الواحـد مـنهم يـدعى: قومس[١٤].

عاشت هذه الطوائف من النصارى في ظل الحكـم الإسـلامي في الأنـدلس تمـارس حياتها العادية في المـدن والأريـاف مقابـل دفـع الجزيـة للمسـلمين وفـق الشـريعة الإسـلامية، وعـاش أهلهـا مـع المسـلمين في ألفة ومودة يمارسون طقوسـهم الدينيـة في كنائسهم.[١٥]

وكـان للنصـارى حظهـم مـن الحيـاة العامة والخاصة، مشـاركين فيهـا في نطـاق السماحة التي ظللت المجتمـع الأندلسـي وبعدها عن التعصب المقيـت، فكثـير مـن الأمهات كن مسيحيات وأكثرهن بقين على دينهن لم يغير مـن طـابع سـعادة بيـوتهن اخـتلاف العقيـدة بـين الـزوج وزوجـه أو الولد وأمه.[١٦]

ومـارس المسـتعربون بعـض الأسـاليب الإسلامية في حياتهم، مثلاً: لبسوا ملابسهم، واختتنوا، وامتنعوا عن أكل لحـم الخنزيـر. وكـان لكـثرة مـنهم اسـمه الإسـلامي، إلى جانـب اسـمه اللاتينـي، وأتقنـوا العربيـة وتذوقوها: قراءة وكتاباً وإنشاءَ وأدباً.[١٧]

ب-أهلُ الذمّة (المسيحيون):

وهم الإسبان الذين بقوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام، وهؤلاء كانوا يرون أن البربر والعرب دخلاء عليهم، وأنهم أحق بملك بلادهم، ويندرج مع هذا العنصر الإسباني المسيحي يهود البلاد من حيث معاملة المسلمين لهم، فقد ضمن المسلمون لهذين العنصرين حريتهم، وأدخلوهم في ذمتهم، مقابل الجزية والخراج على ما تقضي به الشريعة الإسلامية.[١٨]

وتكثر الأدلة على التسامح العظيم الذي أبداه العرب نحو نصارى الأندلس، فقد كانوا يرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين، وباستثناء الجزية والخراج، فلم يمسّ المسلمون غالباً من ممتلكات المسيحيين شيئاً، إلا ما كان من ممتلكات الأسرة الحاكمة، أو ما كان مملوكاً لهؤلاء الذين حملوا السلاح في وجه المسلمين، ثم قتلوا في الحرب أو الذين فرّوا إلى الشمال تاركين أموالهم من خلفهم. والأخرون على كل حال كانوا قلة، وقد اعتبرت هذه الأموال غنيمة تتملكها الدولة، وقد ترك الباقي من الأراضي في يد من كانوا يزرعونها يؤدون عنها خراجاً للجماعة الإسلامية كلها، والخراج نفسه كان مفروضاً على المسلمين والنصارى واليهود بعدل ومساواة. أما أرقاء المسيحيين، فقد رحبوا بالفتح الإسلامي، لأنهم وجدوا في تغيير نظام الحكم خلاصاً "بعد أن لاقوا ضروباً من المهانة والقسوة من الرومان القوط، وقد أصبحوا في رق المسلمين بمنزلة صغار الزراع، فقد تركهم سادتهم يزرعون كما يشاءون، على أن يؤدوا إليهم نصيباً من الغلة، وقد انفتح باب الحرية أمامهم فسيحاً بمجرد النطق بالشهادتين، مما جعلهم يسرعون إلى إعلان اسلامهم، ولم يكونوا وحدهم في واقع الأمر هم الذين تسابقوا إلى الدين الجديد، بل أسرع كثير من كبار الملاك والسراة إلى رحاب الدين الجديد.[١٩]

لقد بهرت الحضارة الإسلامية جماعة المسيحيين الذين عاشوا في كنف المسلمين فقلدوهم في كثير من مظاهر حضارتهم واتخذوا أزياءهم ولغتهم ونمط حياتهم في كثير من الأحيان، برغم احتفاظهم بدينهم، وقد برز من شعراء النصرانية بالعربية في الأندلس "ابن المرعزيّ" شاعر المعتمد بن عباد، وبسقوط طَليطلة في سنة ٤٧٨هـ في يد النصارى بدأ النصارى المعاهدون يتجهون بمشاعرهم إليها، وعندما قدم ملوك الشمال غازين ومتوغلين في البلاد الإسلامية و سقطت في أيديهم بعض المدن، وجدوا عوناً صادقاً من النصارى المعاهدين الذين نقضوا العهود وأخلوا بها، وتجلّى ذلك بوضوح على أيام المرابطين فعمل هؤلاء على تهجير عدد كبير منهم إلى المغرب بناء على فتوى أصدرها ابن رشد، أشهر قضاة ذلك العصر، وجدّ الفيلسوف الشهير، فأكلتهم الطرق ووتفرقوا شذر مذر[٢٠].

-النصارى في غرناطة (عصر بني الأحمر):

تعد الديانة المسيحية إحدى الديانات السماوية التي يؤمن بها الكثير من أهل الأندلس قبل دخول المسلمين إليها، ولذلك لم يغادر النصارى بلادهم بعد الفتح، وكانت الحياة فيما بينهم وبين المسلمين بعد انتشار الإسلام يسودها الودّ والألفة، فالإسلام جال الأرض ولم تكُن أرض الأندلس هي الوحيدة من دول العالم التي فتحها المسلمون. وكما أن المسلمين يؤدون صلواتهم في المساجد فكان للنصارى كذلك كنائسهم ومعابدهم الخاصة بهم التي يتعبدون فيها دون إيذاء من أحد. فقد حافظ النصارى في مملكة بني الأحمر على حضورهم البارز في العالم الإسلامي في الأندلس، فالجنود والمسافرون والتجار والأسرى جعلوا الاحتكاك مستمراً بين أبناء الطائفتين فلم يكن بينهم انقطاع.

تزايد عدد النصارى في مملكة غرناطة عن طريق أسْرهم أثناء المواجهات البحرية والبرية لغرناطة مع القوات المسيحية المجاورة، وكان ضمن هؤلاء الأسرى مزارعون أخذوا يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي في المناطق الريفية، كما اشتغلوا بالأرجاء مقابل نصيب من الشعير والذرة وحصة يومية من الخبز تعادل ٧٥٠ غراماً[٢١].

هذا ويحتاج تأصيل العلاقات الإسلامية -المسيحية العودة إلى النص، لأنه الضابط لأنماط العلاقات، والعاصم لها من الغلو الذي قد يعمد إليه بعضهم. فالإسلام جاء رسالة خاتمة تصدّق ما قبلها وتؤكد على ما فيه من قيم، لأن الرسالات السماوية إنما هي روافد من مصدر واحد، ومن لدن عزيز حكيم، قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[آل عمران:٣]، إن رسالات السماء الخالدة جاءت لخير الإنسان وسعادته، وتحقيق كرامته، وهي هدى للناس تتكامل، وتحوي قيماً واحدة فيما يخص سلوك الإنسان، وتتنوع فيها العبادات والشعائر، وكلها في إطار التعبير عن الطاعة لله تعالى والتقرب إليه سبحانه. هذا البعد الذي أكدته الآية الكريمة و جاء الحديث النبوي يفسره حيث قال الرسول ﷺ: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنَا خاتم النبيين)[٢٢]. إن البنيان الديني جاء لبنة لبنة، ومدماكاً مدماكاً، واستُكمل البناء مع النبي ﷺ الذي أكد بأن الأنبياء والرسل إخوة من أمهات شتى، والغائية واحدة في تبليغ الهدي الإلهي[٢٣]

وقد كان للنصارى دور بارز في الحركة التجارية رغم قلة عددهم، واستقر أغلب

التجـــار مـــنهم في المنـــاطق الحدوديـــة، وساهموا في تنشيط الحركة التجاريـة فيهـا خاصة بالمرية، ولقي هـؤلاء التجـار رعايـة فائقـة خاصـة في عهـد السـلطان يوسـف الأول.

وكانت العلاقة بين المسلمين والنصارى المعاهدين علاقة طبيعية بحكـم الاخـتلاط والتفاهم فـترات طويلـة مـن الـزمن، مـما ساهم في تبادل التـأثيرات بـين الجـانبين في المناسبات والأعياد، واتخاذ يوم الأحـد مـن كل أسبوع عطلة رسمية، وقد أخـذ هـؤلاء النصارى أشياءَ كثيرة من التقاليد والعادات الإسلامية وتكلموا العربية، وأتقنوا كتابتها، واســـتعملوها في معـــاملاتهم الرســـمية، واحتلوا مناصب مهمة لدى أمراء المسلمين في الإدارة والجيش، إلا أنهـم أصـبحوا آخـر الأمر شوكة بجانب المسلمين، يكيدون لهم العداء، ويشـجعون أعـداءهم بالانقضـاض عليهم وكيدهم، وهـذا كـان مـن العوامـل التي تسببت في إضعاف حكم المسلمين في الأندلس.(٢٤)

ثانياً: الآخر النصراني في الشـعر (عـصر بني الأحمر)

عاصرت إمارة غرناطة في شبه الجزيـرة الإيبيريـــة ثـــلاث دول نصـــرانية: أراغـــون والبرتغـــال وقشـــتالة، ولم يكـــن للـــدولتين الأولى والثانيـة كبـير أطـماع في دولـة بنـي الأحمر، عـلى عكـس الدولـة الثالثـة التـي اعتـبرت أن اسـتكمال اسـترداد مـا بقـي في أيدي المسلمين مـن أرض الأنـدلس واجـب مقدس ألقي على عاتقها، فوضـعت نصـب عينيها القضاء على دولة بني نصـر هـدفاً وغاية. وتحددت بضبط قشتالة هدفها بين الـدولتين المتجـاورتين بشـكل يكـاد يكـون نهائياً، وتجسـمت في صراع عنيـف وقـاس، استمرّ حوالي قرنين ونصف من الزمن كـان فيهـا الطـرف الإسـلامي يـدافع مسـتميتاً، والطرف النصـراني يهـاجم مستأسـداً. فقـد حدثتنا المادة الشـعرية عـن ظـاهرة تبـدو وكأنها تمثل الجانب السلمي بين العدوّين، وما هي في الحقيقـة إلا امتـداداً للتّصـادم الدموي بين الطرفين، هذه الظاهرة هي ما كان يعقد من اتفاقيات السلم والهدنة بين المسلمين والنصارى.(٢٥)

لقـد كانـت الدولـة الإسـلامية بحكـم ظروفها الداخلية وطاقتها العسـكرية عـلى استعداد دائم لعقد مثل هذه الاتفاقيـات مع الدول النصرانية، بل كانت هي الملحّـة في طلبها، رغم ما يلزمها ذلك في كثـير مـن الأحيان من بـاهظ الـثّمن في شـكل إتـاوة وجزية، كـان الشـعب الغرنـاطي يتحمّلهـا على مضض لما فيها من إهانـة وذلّ. فهـذا ابـــن الآبـــار يســـتنهض الهمـــم لاســـتنقاذ الأندلس من الآخر النصـراني، وقـدم هـذه القصيدة إلى أبي زكريا الحفصي سنة ٦٣٥هـ بعد ضياع بلنسية يقول فيها:

نادتْـكَ أنـدَلُسٌ فَلَـــبِّ نداءَهَـــا

واجْعَل طَوَاغِيتَ الصّليبِ فِداءَهَا

صَرَخَـــتْ بِـــدَعْوتك العَلِيّـــة فاحْبَهـــا

مِنْ عَاطِفاتِك ما يَقِـي حَوْبَاءَهـا

واشدُدْ بِجلبكَ جَرْد خَيلك أزْرَها تَرِدُدْ
عـــلى أعقابِهَـــا أرْزاءَهـــا
هيَ دارُك القُصوى أوَت لإيالة ضَمنَتْ
لهـــا مـــع نَصـــرِهَا إيواءَهـــا
وبِها عَبيدُك لا بَقاء لَهُم سِوَى سُبُل
الضـــراعة يَســـلُكون سَـــواءَها
كيفَ السّبِيلُ إلَى احْتِلالِ مَعَاهِدٍ شَبّ
الأعَـــاجِمُ دُونَهَـــا هَيْجَاءَهَـــا
.....
بِأبِي مِدَارِسُ كالطّلُولِ دَوَارِسٌ نَسَخَتْ
نَـــوَاقِيسُ الصّـــلِيبَ نِـــدَاءَهَا[٢٦]

وذكر الشاعر الكثير من الأحداث التي تتابعت على أرض الأندلس تلك الآونة، وعدّد من صفات ذلك الآخر الذي طغى في بلاد الأندلس، فلم تكن هنالك الصفاوة من قبل النصارى اتجاه المسلمين فترة حكم بني الأحمر، فقد كان النصارى ينتهزون الفرص فينقلبوا على الحكم الإسلامي آنذاك، والواقع أن المسلمين ألحقوا بالنصارى عدة هزائم في هذه المدة كالتغلب على كركبول[٢٧] وشوذر[٢٨] والوقيعة البحرية، ونزع جبل طارق من أيديهم علهم يسترجعون ما أخذ منهم.

فصورة النصارى في الشعر الأندلسي فترة حكم بني الأحمر كانت تتحدث عن مقاومة ونزال، فهذا الشاعر لسان الدين ابن الخطيب يخاطب الآخر النصراني مؤكداً له أن الهزيمة ستلحق بهم لا شك في ذلك، فإذا كانوا قد حققوا نصراً على المسلمين في موقعة فإنهم مهزومون في أخرى وهكذا هي الحرب سجال وهو مطمئن إلى النصر؛ وأن الله يؤيد سلطانه أبا الحجاج لأنه إمام هدى وتقوى يستمد قوته على عدوه من الله ﷻ، يقول:

لا يَغْـرُرَنّ الـرّوْمُ فِي إمْلائِهَا قَدْ جَرَى
فَـــالحَرْب هَـــاتَ وهَاكَـــا
ولِمُلْكِك العُقْبَـي وحَسْـبُك نَـاصِرَا أنّ
الإلـــه عَـــدُوّ مَـــنْ عَادَاكَـــا
لِلـهِ يُوسُـفُ مِـنْ امَـامِ هِدَايَـةٍ جَـلّى
بِنُـــورِ يَقِينِـــهِ الأحْلاكَـــا[٢٩]

فنجد صورة الآخر المسيحي في الأبيات السابقة هي الحلقة الأضعف في نظر الشاعر، في إشارة لهم بأنهم لا يستطيعون مقاومة المسلمين حتى ولو انتصروا بإحدى الوقائع إلا أن الوقيعة التي تأتي بعدها سوف ينهزمون بها لا محالة، وذلك أن الله ﷻ يعادي أعداءه وينصره عليهم.

يقول ابن الخطيب: أنشدتُ السلطان أمير المسلمين "أبا الحجّاج"[٣٠] -رحمة الله عليه- أهنئه بفتح كركبول من ثغور العدوّ في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة للتحرر من الآخر الذي سيطر عليها مدّة من الزمن:

بُشـــرَى يَقُـــومُ لهَـــا الزّمَـــانُ

خَطِيباً وَتَأرّجُ الآفاقُ مِنْهَا طِيبَا

هَذَا طُلُوعُ فُتُوحكَ الغُرِّ الّتِي مَا كَانَ

طَـــالِعُ سَـــعْدِهَا لِيغيبَـــا

أظهَرْتَ دِينَ اللهِ في ثغرِ العِدى وَ

قَهَـرْتَ تِمْثَـالاً بِـهِ وَصَـلِيبَا[٣١]

فابن الخطيب يرى في فتح كركبول بشرى لمزيد من الفتوح واسترجاع ما ضاع من أرض المسلمين، وأنّ أبا الحجاج بفتحها قهر العدو النصراني وأذل الصليب.

لقد مُنِح الآخرُ المسيحي من قبل المسلمين فترة حكم غرناطة الحرية المطلقة، والشواهد الشعرية حفظت ونقلت لنا الصورة التي كان عليها هذا المسيحي، من ذكر الكنائس والصلبان والنواقيس والعقائد الخاصة بهم. ومن ذلك قول الشاعر عبدالكريم القيسي ت (٨٩٧ هـ) في جُرأة القسّيس وتعالي صوته مجاهراً وواصفاً ناقوس إحدى الكنائس في مملكة غرناطة:

وقَدْ نَطَقَ النّاقُوس فَوْقَ كَنِيسَةٍ بِكَفٍّ

مُغَـــنٍّ مُولَـــعٍ بِالتَرَنُّـــمِ

وَأفْصَحَ قِسّيسُ الأعَاجِمِ جَاهِراً بِإنْجِيلِ

رُوحِ اللهِ عِيسَـى بـن مَـرْيَمِ[٣٢]

جاءت صورة الآخر المسيحي فيما سبق وهو يرنّم ما جاء في الكتاب المقدّس (الإنجيل) من قبل هذا القسيس الذي وصفه بالفصيح، وعلى ما يبدو أن التراتيل كانت تُرنّم جهراً، في إشارة إلى الحرية التامة التي كان يتمتع بها هذا الآخر النصراني في غرناطة من جانب وعلى حالة التمرد الذي اشتغلوا به تجاه المسلمين من جانب آخر.

ولعل قصيدة لسان الدين ابن الخطيب الفائية هي صيحة حرّى لتجميع قوى المسلمين ضد قوى الآخر (النصارى) المتكالبة، وتبصيرهم بالخطر الذي يحدق بما تبقى من الأندلس، يقول:

أإخْوَاننا لا تَنْسَوا الفَضْلَ والعَطْفَا فَقَدْ

كَـادَ نُـورُ اللـه بِـالكُفْرِ أنْ يُطْفَـا

وَإذْ بَلَـغَ المَـاءُ الـزُّبَى فَتَـدَارَكُوا فَقَـدْ

بَسَـطَ الـدِّينُ الحَنِيـفُ لَكُـمْ كَفّـا

تحكّـمَ في سُـكّان أنْـدَلُسِ العِـدَى

فَلَهْفَا عـلى الإسْـلامِ مَـا بَيّنَهُمْ لَهْفَـا[٣٣]

فنجد ابن الخطيب يصور لنا صورة الآخر يسيطر على الأندلس بكل تفاصيله، ويتحكم بكل شؤونه. ويصوّر لنا حال الآخر النصراني، بعد أن بات ليلة في إحدى كنائس غرناطة ووصف الآخر (الرهبان) وهم عاكفون على تدريس أبناء ديانتهم تعاليم الكتاب المقدّس (الإنجيل):

ودَيْـرٍ أنَخْنَـا في قَرَارَتِـهِ العِيْسَـا بِحُلَّـةِ

رُهْبَـــانٍ إلاهُـهُـــمْ عِيسَـــى

عُكُــوفٌ عَــلَى التِّمْثَــالِ يَسْــتَلِمُونَهُ
وَيَعْنُونَ بِالإِنْجِيلِ حِفْظَاً وَتَدْرِيسَا[٣٤]

وتظهر -من خلال الشاهد الشعري- عنــايتهم بتعــاليم الإنجيــل وحفظــه وتدريسه لأبناء جلدته، فلم ينسوا تعاليمه بل حافظوا عليه واستطاعوا أن يعيدوا لـه مجـده، ويطالعنـا شـاعر آخـرٍ بوصـف مناسك الآخر النصـراني في التعبد داخل إحـدى الكنـائس وقـد أبـدع في وصـف الأجواء الدينية لدى هذا الآخر:

طَرَقْنَـا دُيـورَ القَـوْمِ وَهْنَـاً وتَغْلِيسَـــا
وقَدْ شَرِفوا النّاسُـوتَ إذ عَبَـدوا عِيـسَى
وقد رَفعُوا الإنجِيلَ فَوْقَ رُؤوسَهُم وقدْ
قدّسُـــوا الــرّوحَ المُقــدّسَ تَقْدِيسَـــا
فــمَا اسْــتَيقَظوا إلاّ لِصَكّـــةِ بَابِهِـــمْ
فَــأدهَشَ رُهْبَانَـــاً وروّعَ قِسّيسَـــا
وقامَ بِهِ البِطْرِيق يَسْعَى مُلَبّيَـــاً وَقَدْ
لَـــيّنَ النّـــاقُوسَ رَفْعَـــاً وتَأنِيسَـــا
فقُلنَا لَـهُ أمْنَـاً فإنّـا عِصَابَـــة أتَينَا
لِتَثْلِيــثِ وإنْ شِــئتَ تَسْدِيسَـــا[٣٥]

فروح القدس لدى الآخر المسيحي هي بمثابـة الـربّ الأعـلى لـديهم ولا بـدّ مـن الحفاظ عليها جيداً، فزيارة ابـن الخطيـب وأصحابه للكنيسة وضحت حجم تمسكهم بعقائـدهم وعـدم تخلـيهم عنهـا، وقـد تكـررت مفـاهيم ومفـردات الشـاعر في موضوع معين يتضح من خلال قوله أنهـم جاءوا لممارسة شعائر الآخر النصراني وهـي عقيدة التثليث:

بَكَرْنَـا وقُلنَـا إذْ نَزَلْنَـا بِجَانِـهِ عَـن
الصّـافِنَات الجُـرْدِ والضُّـمّرِ العِـيْسِ
أيَـا عَابِـدَ النّاسُـوت إنا عِصَـابَةٌ أتَيْنَـا
لِتَثْلِيــثِ بَــلَى و لِتَسْدِيـــــس[٣٦]

فهذه العقيدة تكررت مراراً لـدى ابـن الآبار وقد جعلت لها مبحثاً خاصّاً في هـذه الدراسة. ونتبين كـذلك مـن خـلال الشـعر صـورة ذلـك الآخـر المتمسـك في عقيـدة أخرى للنصرانية التـي تجعـل مـن المسـيح ابناً لله، يقول ابن الآبار:

هُمُ اتّخَذُوا فِيهَا الكَنَـائِسَ ضِلّةً وهُـمُ
جَعَلُـوا لِلـهِ فِـيمَا افْـتَرَوْهُ ابْنَـــا[٣٧]

فيتهمهم أنهم كذبوا وافتروا عـلى اللـه ﷻ في أنه يتخذ عيسى ابنـاً لـه، ويطالعنـا الشـاعر نفسـه في صـورة الآخـر تلـك في موضعٍ آخر، بقـولهم أن عيسـى هـو ابـن الله:

ويَحْسَبُ عِيسَـى ابْـنَ الإلَـهِ وأُمّـهُ لَـهُ
زَوْجَـــةٌ مَوْصُـــوفَةٌ بِبَهَـــاء[٣٨]

وهذه إحـدى الحقـائق الراسـخة لـدى أتباع الديانة المسيحية بأن مـريم العـذراء قد أنجبت لله ولداً وهو المسـيح عيسـى؛ التي قد نفاها اللـه ﷻ في محكـم تنزيلـه

جملة وتفصيلاً، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:٣٤-٣٥]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم:٨٨-٩٢]

والآيات التي تناولت هذا الموضوع في القرآن الكريم والكتاب المقدس كانت كثيرة، فالقرآن هو الحكم الفاصل في هذا الأمر، وجاء لينفي عن الله ﷻ هذه الصفات المفتراه.

ثالثاً: تمسّك الآخر النصراني بعقائده (عقيدة التّثليث أنموذجاً)

نشأت فكرة التثليث في النصرانية بالإسكندرية التي كانت مهداً للإفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث، وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه: قوة المكون الأول، والعقل (الابن)، والنفس العامة (الروح القدس). وفي منتصف القرن الثالث، مع بداية سيطرة الإنجيل على الفكر المسيحي، وجه الوثنيون هذا السؤال بلهجة التحدي للمسيحيين: إن كان عيسى بشراً فلم تعبدونه؟ وإذا كان إلهاً فقيم البكاء على آلامه؟ وهذا أدى إلى اختلاف الآراء حول التثليث، كاد هذا الصراع أن يذهب بالمسيحية لولا أن الدولة سارعت إلى إنقاذها.[٣٩]

أما عن مصدر التثليث عند النصارى فقد ادعوا أن هذا القول تلقوه من الإنجيل وفي الحقيقة ليس في الإنجيل كلمة واضحة عن الثالوث، ويعتمد النصارى في إثبات التثليث على ما جاء في إنجيل متّى: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"، ويؤيدون تلك الفقرة بفقرة واردة في رسالة يوحنا الرسول الأولي "إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس، هؤلاء الثلاثة هم الواحد"[٤٠].

واستطاعت الشواهد التي وصلت من الشعراء الذين عاصروا فترة حكم بني الأحمر سواء عاشوا في غرناطة أو في الأقاليم التي تتبع لها، أن تكوّن مادة غنية بأهم التقاليد والعقائد لدى أتباع الديانة النصرانية، ولعلّ عقيدة التثليث التي تُعد إحدى ركائز العقائد الإيمانية التي كانت تمثل أهم معتقداتهم وبالأخص كونهم أصبحوا أقلية في بلادهم، ومن ذلك قول الشاعر ابن الجياب الغرناطي ت (٧٤٩هـ):

وبِلادُ أَنْدَلُسٍ فَرِيسَةُ كَافِرٍ يُمْلِي عَلَيها
وَعْدَهُ و وَعِيدَهُ
والدّينُ فِيهَا زَاهِقٌ قَد كَادَ أَنْ يُمْحَى
بِتَثْلِيثِ العِدَا تَوْحِيدُهُ[٤١]

فقد أصبحت جزيرة الأندلس فريسة للذين يتوعدون بالنيل من الإسلام والمسلمين من على أرضها، وأن الدين أصبح فيها باطلاً وأوشك أصحاب عقيدة التثليث على محوه من الأندلس:

لمّا رَأى إخْوَة التّثليث تَمْحَقُهُ أجَابَهُ

بِبنـي التّوْحِيد يُنْشِئُهُ

مِنْ جَحْفَلٍ يَحْمِلُ الإسْعَادَ رأيتَهُ لا

يَرْبَأ العَالَمُ العَلْويّ يُربِئُهُ

تُنمَى نِكايَتُهُ في الرّوم إذ جَعَلَتْ

بِالقَرْحِ تُوجِعَهُ والجُرْح تَنْكَؤهُ[٤٢]

فنجد أن المعارك كانت على مدى حكم بني الأحمر تدور سجالاً، فمرّة يكسب المسلمون ومرة يخسرون والعكس صحيح بالنسبة للروم، وعلى الرغم من أن أصحاب هذه العقيدة كان لهم الدور الكبير في هذه المعارك والحروب؛ فكانت هنالك مناشدات من قبل المسلمين لتثبيط عزم وقوى أهل هذه الملّة والدعوة لعزل سيدهم وقيادته ذليلاً:

ويَقضي عَلَى التّثْليثَ فيْصَلُ بَأسِه

لِطَائفَة التّوحيدِ في القُرْبِ وَالبُعْدِ

كأنّي بِعُبّادِ المَسيح لِعزّهِ

وسَيّدَهُمْ يُقْتَادُ في ذِلّةِ العَبْدِ[٤٣]

إنّ همّة أصحاب طائفة التوحيد (المسلمين) لم تفسح المجال بأوسع أبوابه لهم وخاصة في ساحات القتال، فمهما علت آية التثليث في نظر الآخر النصراني إلا أن المسلمين في قناعة تامة أنهم يعيشون في ضعف ووهن شديدين:

إذا نَزَلَتْ بِسَاحَات الأعَادي

صَبَاحاً لَمْ يُلَبّثها الضُّحَاء

فلِلتّثلَيث وَهْنٌ و اتِّضَاعٌ و

لِلتوحيد أيْدٌ وارْتِقَاء[٤٤]

ونجد الشاعر حاثاً ولي أمر المسلمين ومن يقوم بمقامه على مقاومة هذه العقيدة والإطاحة بها أدنى منزلة وأن لا يمنح أتباعها الحرية التي يتمتعون بها:

وعَلى القَائمِ بِالتّوحيد أنْ

يُقعِدُ التّثليثَ أدْنَى مَقْعَدْ

صَرَخَ النّاقوسُ يَبْكِي يَوْمَهُ

لَتَنَاهَى عُدَدٍ أو عَدَدْ

واقْتَدَى الرّهبَان في نُدبَتِه

بِلَبيدٍ في أخِيه أرْبَدْ[٤٥]

فصورة الآخر هنا تتمثل في رسم صورته للمتلقي؛ بأن هذا الآخر النصراني بينما يقرع مضراب الكنيسة إيذاناً بحلول وقت الصلاة فإنه يبدأ الرّهبان بالبكاء على آلام وجروح السيد المسيح:

بَكَرْنَا وقُلنَا إذْ نَزَلْنَا بِحَانِه

عن الصّافِنَات الجُرْدِ والضُّمّرِ العِيْسِ

أيَـا عَابِـدَ النّاسُـوت إنـا عِصَـابَةٌ
أتَيْنَـا لِتَثْليـثِ بَـلَى و لِتَسْدِيـس[٤٦]

ومن الواضح أن جماعات التثليث في تلك الآونة كانت ذات أعداد قليلة، فنجد أن الشعراء كانوا يحاولون التقليل من شأنهم وذلك في سبيل الدفاع عن نفسية المسلمين:

لَـوْ أنّ طَائِفَـةَ التّوْحيـد إخوَتُـه
لَمْ يَرضَ شِرذِمَـةَ التّثليـثِ إخْوَانَـا[٤٧]

إذ إن أهـل التوحيـد (المسـلمين) يشكلون أعداداً كبيرة مقارنة مع النصارى الذين كانوا يشكلون فرقاً وجماعات قليلة العدد، ومع ذلك فإنّ عزم أهل التوحيد لم يتزعزع في الدفاع عن دينهم:

إنّ لِلتوحيـدَ عَزْمَـاً صَحيحَـاً
يُوسِـعُ التّثليـثَ كَـرّ اكتِسَـاحِ[٤٨]

وقد أكثر الشعراء من مدح طوائف التوحيد ودورهم في الذود عن الحمى كقول الشاعر:

أناسٌ مِن التّوحيدِ صِيغَتْ نُفُوسُهم
فـزُرْهُم تَـرَ التّوحيـدَ شَخْصَـاً مُرَكّبَـا
ومِـنْ سَـاكِبَاتِ المُـزْنِ فَـيْضُ أكُفّهـم
فَرِدْهُمْ تَرِدْ مَاءَ الغَـمَامُ و أعْـذَبَا[٤٩]

فنفـوس أهـل التوحيـد طيبـة زكيـة وكرماء النفس:

أولئـكَ زُمْـرَةُ التّوحيـدِ يُنْمَـى بِهَـا
نَسَـبٌ لِطُهْرَتِـهِ نَمَـاءُ[٥٠]

على العكس من أهل التثليث الذين ينتهزون الفرصة ما أن سُنحَت لهم:

خَـلا لَـهُ الجَـوّ فامْتَـدَّت يَـدَاهُ إلَى
إدراكِ مَـا لَـمْ تَطَـأ رِجْـلاهُ مُخْتَلِسَـا
وأكْـثَرَ الـزّعْمَ بالتّثليـثِ مُنفَـرِداً
ولَـوْ رأى رأيـةَ التّوحيـدِ مـا نَسَـبا[٥١]

ونستطيع من خلال الشواهد الشعرية التي وصلت إلينا من تلك الفترة (عصر مملكة بني الأحمر) أن ندرك أنّ هنالك مفاضلة بين فِرَق التوحيد وشراذم التثليث:

فَـإنْ شَـقِيَ التّثليـثُ منهـا لِغُصّـةٍ
فقـد شُـفِيَ التّوْحِيـدُ مِـمّا بِـهِ غَصّـا
وإنّ عـدُوّ الـدّين مَـنْ ظَـاهَرَ العِـدى
لِيَخْذُلَهُ فاستنصَرَ الشّرْكَ واستَقْصَى
بعُبّادِ عِيسَى هَاضَ أُمّةَ أحْمَـدٍ لأشْـيائِهَا
بَخْسَـاً وأعْيَنُهَـا بَخْصَـاً[٥٢]

وقد تبدّلت الأحوال في الآونة الأخيرة، فبعد أن كان المسلمون يسيطرون على الجزء الأكبر من البلاد أصبح الآخر النصراني هو سيد البيت:

وزَحْـزَحَ بالتّوحيـدِ عـن جنباتِهـا
عَصَـائِبَ للتّثليـثِ جَـارُوا بِهَـا سُـكْنَى

كأنْ لَمْ تَكُنْ لِلمؤمنين مَغَانياً فهَا هـي
لِلكُفّـــارِ وَا أَســـفَا مَغْنَـــى[٥٣]

اجتيـاح النصـارى لكثـير مـن بقـاع الأندلس وأجزائها جعل المسلمين يشعرون بالخطر المحدق بهم وكأنّ المسلمين لم يعُد لهـم منـازل يسـكنون فيهـا فقـد أصـبحت كلها للآخر النصراني، وقـد نعـتهم الشـعراء بصـفات عديـدة ومنهـا أنهـم يتقلبـون في التعامـل مـع الآخـر، فهـم في عـدّة وجـوه حتى في الديانة:

مَـا بَـينَ قَـوْمٍ كَـافرين تَلوّنُـوا فِي
كُفـــرِهِم كَتَلـــوّن الحَرْبَـــاء
لا يَرْجُـــون مُوحِّـــداً في أرضِـــهِم إنْ
جـــاءَهَم يَشـــكُو بِخَطْـــبِ عَنـــاءِ
مَـا إنْ رَأوا مِـنْهُم سِـوى مِـنْ قَلبـه
مِـــن قَسْـــوَةٍ كالصّـــخْرَةِ الصّـــمّاءِ[٥٤]

والحربـاء ضرب مـن الزواحـف التـي تتشـكّل بجسـمها ولونهـا حسـب الوضـع الذي أمامها، ومن الظاهر أن هنـاك مـنهم من كان يدّعي الإسلام إلا أنه عندما ينتهي مـراده يعـود للديانـة التـي هـو عليهـا في الأصل، وفي ذلك تناص مع قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُـوا قَـالُوا آمَنَّـا وَإِذَا خَلَـوْا إِلَى شَـيَاطِينِهِمْ قَـالُوا إِنَّـا مَعَكُـمْ إِنَّمَـا نَحْـنُ مُسْـتَهْزِئُونَ﴾[البقـرة:١٤] وأنهـم ادّعـوا الطهارة إلا أنهم عكس ذلك:

طَهّـرَ بِـلادَك فهُـم إنّهُـم نَجَـسٌ ولا
طَهَـارَةَ مَـا لَـمْ تَغْسِـلْ النّجْسَـا[٥٥]

لم يعُد مستقبل الإسلام في شبه الجزيرة الإيبرية مشكوكاً فيـه، بـل أصـبح ميؤوسـاً منه بسقوط جلّ القواعـد الأندلسـية بيـد النصارى، مع ما يتبعها من مئات الحصون والقلاع التي هي بمثابة الدرع الـواقي، ولم يبقَ في بداية النصـف الثـاني مـن القـرن ٧ هـ/١٣م بيد المسلمين من أندلسهم الكبرى إلاّ سـيف عـلى شـاطىء البحـر يمتـدّ مـن جيّان شمالاً إلى الجزيـرة الخضـراء جنوبـاً وفي هذه المنطقة التي تتكوّن من هضـاب وبسائط يغلب عليها الفقر أكثر مما يغلب الخصـب، نشـأت إمـارة غرناطـة الصّـغيرة على يد محمّد بن يوسـف المعـروف بـابن الأحمر.

لقـد طغـى الآخـر النـصراني في أرض الأنـدلس وقلـب المـوازين حتـى المسـاجد بـــدّلوها إلى الكنـــائس ولم يعُـــد فيهـــا للمسـلمين خصوصـية، يقـول أبـو البقـاء الرنـــــــــــــــــــــــدي:

حَيْثُ المَسَاجِد قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ ما
فِـــيهِنّ إلّا نَـــوَاقِيسٌ و صُلبَـــانُ
حَتّى المَحَارِيـب تَـبْكِي وهـي جامِـدَةٌ
وحَتّى المَنَابِر تَبْكِي وهي عِيدَانُ[٥٦]

ولم يعُد صوت نداء المؤذن في المساجد مسـموعاً، مصـوّراً أن المحاريـب والمنـابر

تبكي رغم أنّها عيدان إلا أنّها لم يعد فيها حياة، يقول ابن الأبار القضاعي:

فَمِنْ دسَاكِر كانَتْ دُونَهَا حَرَساً ومِنْ
كَنَائِس كَانَتْ قَبْلُهَا كُنُسَا
يا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَى بِيَعَاً
وللنِدَاءِ غَدَا أثنَاءهَا جَرَسَا[٥٧]

فقد استطاع الآخر النصراني في فترة وجيزة أن يغيّر كل شيء يتعلّق بالديانة الإسلامية فقد قلب الموازين ودمّر الكثير من جموع المسلمين وفرقوهم عن جماعاتهم، حتى مَشعَر المسلمين غيّروه ونكّروا معالمهم:

كَمْ نكّروا مِنْ مَعْلَمٍ كَمْ دَمّرُوا مِنْ
مَعْشَرٍ كَمْ غيّروا مِن مَشعَرِ
كَمْ أبطَلوا سُنَنَ النّبِي وعَطّلوا مِن
حِليَةِ التّوحيدِ ذَرْوَةَ مِنْبَرِ[٥٨]

فهم حاقدون على الإسلام والمسلمين وحريصون على استرداد الأندلس وإعادتها إلى حظيرة النصارى، ولذلك هم يلجأون إلى الدين لتحريض النصارى ودفعهم إلى محاربة المسلمين، لدرجة أنهم استطاعوا أن يبطلوا السنن التي ورثها المسلمون عن النبي محمد ﷺ.

رابعاً: صورة الفتاة النصرانية المعشوقة:

شاع الغزل في عصور الأدب العربي بعامة، وبلغ درجة كبيرة في عصر بني الأحمر، وأسهم الشعراء في عصر ملوك غرناطة في هذا النوع من الغزل الذي يتسم بالنزعة الحسية، فذهبوا يتغزلون بالمرأة، ويتحدثون عن مفاتن جسدها، وربما تمادوا فوصفوا مغامراتهم معها، وقد كانت أيضاً مصدر إلهامهم في مجالس اللهو، ومشارب الخمر ومراقص الأُنس، ومحافل الغناء.

ويصف لنا ابن الخطيب في الإحاطة نساء غرناطة في عصره وصفاً نجد فيه بعض الملامح التي رأيناها عند الشعراء، فيقول: "حريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن، وقد بلغن في التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصنفات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة..."[٥٩].

ومن الصور التي جاء عليها الآخر المسيحي في مملكة غرناطة جاءت صورة المرأة النصرانية المعشوقة و كانت تنعم بالجمال، وذلك دليل على أن كثيراً من المسلمين وقعوا في شباك حب الفتيات النصرانيات، فالشاعر القيسي يشكي هيامه من حرقة وجوى بصبية نصرانية حسناء كالبدر، فأصبح الهمّ حليفه لشدة عشقه لها، ولهجرها وصدها له:

وأعجَبَ عُبَاد الصليبِ صبيةٌ سَبَتْني
بوجهٍ مثلَ بَدرٍ مُتمّمِ
فبتُّ حَليفَ الهَمِّ مِنْ فَرْطِ حُبّها
وبَاتَتْ بِهَجْري في فِراشٍ تَنعَمُ[٦٠]

وكذلك ورد له شعر يتغزل بفتاة نصرانية ملهمة، واصفاً مفاتنها وجمالها الخلّاب، ويطلب منها تحديد موعد لرؤيتها في أقرب وقت وإنها قد صدقته الوعد والتقت به، مستخدماً الشاعر الأسلوب القصصي في قصيدته الغزلية:

بِنَفْسِي مَنْ شَغَفَتْ بِهِ رُوحي أفديه
عَلى طُول النّزُوحِ
غَزَالٌ مِنْ ظِبَاءِ الرّومِ غرّ كَحِيل
الجِفْنِ ذُو وَجْهٍ مَليحِ
إذا رامَ الكَلام فأعْجَمِيٌّ ويَهزأ
للملاحَة بالفَصيحِ
شَكَوْتُ لهُ الهَوَى وسَألتُ منْه
بِتَعْجِيلِ الوِصَالِ بَقاءَ رُوحي
فواعَدَني بِهِ وَعْداً جَميلاً سُرِرْتُ
بِنَيْلِ مَتْجَرِه الرّبيحِ
وقال: اعدُدْ فَدَيْتُك وَعْدَ وَصْلٍ ولا
تَرْتَبْ مِنَ الخَبَرِ الصّحيحِ
فقلتُ: أخافُ مِنْ إخلافِ وَعْدي فقال
مُؤكّداً لا والمَسيحِ
فقلتُ له: مَتَى تَنْعَم بِوَصْلي فإني
نَحو وَصْلكِ ذو جُنُوحِ
فقال لي: ارتقب وصلي متى ما تكون
إليه -دهرك- ذا طُمُوحِ
فقلتُ: أريدُ الوَصْلَ يَومي على
رَغْمِ العَدوّ - لكَ- النّصيْحِ
فأنْعِمْ لي بِهِ إنعام سَمْحٍ
جَوادٍ غَيْرِ ذي بُخْلٍ شَحيحِ
ووَافاني عَشاءَ في تَثَنٍّ يَروقُ
الطّرْفُ كالغُصْنِ المُرِيحِ
فبتُّ ضَجِيعَةَ أجْنِي بِلَثْمٍ أبَاحَ
جَنْيَ مُحَيّاهُ الصّبيحِ
وسِرْتُ مِنَ العِنَاقِ بِطُولِ لَيْلِي
أجَارِيهِ بِمَيْدَانٍ فَسيحِ
وساقاني الطّلا مِنْ رِيقِ فيهِ لَها فِعْل
الطّلا مِنْ عَهْدِ نُوحُ[٦١]

استطاع الشاعر من خلال الشاهد أن ينقل للمتلقي الصورة حية كما هي في تسلسل درامي أقرب لنوع من أنواع الغزل الصريح، وما ذلك إلا انعكاساً لصورة المجتمع الأندلسي وعلاقته بالآخر

النصراني في تلك الآونة. ويقول يوسف الثالث في وصف جمال فتاة مسيحية اسمها (اليَنُور) طالباً منها أن لا تصدّه ومن الواضح أنه واعدها مساءً ويطلب لقاءها وقد لبت دعوته:

نادَيْتُ إذ سَحَبَ الظلامُ مُسُوحَهُ
لَيَنُور: لا يَرْضَى المَسيح صُدُودي
فأجَلْتُ في آفاقِهَا اللّحْظَ الّذي ما زالَ
ينجز بِالبُدورِ و عُودي
فتُساعِدُ الآمَالُ كيفَ أريدُها أثناءَ
مُرتقِبي لأفْقِ سَعُودي
هو رَبْعُ سَلْمَى أسْلَمتُ قلبِي لَهُ
نَظَراتُ ألحاظِ الظِّباء الغيد
ألقَتْ عَلى الدّنْيا بَدائعَ لَمْ تَدَعْ
للشمسِ مُطلعاً بأفْقِ صَعُودِ
وتأوّدَتْ فالبَان قَدْ أخَذَ الحلَى عَنْهَا
فجَاءَ بِأبْدَعِ التّأويد
وإذا هيَ ابتسَمتْ يروقُكَ مبسَمٌ
يُزرِى بِعِقْدِ اللّؤلُؤ المَنْضُودِ
إن اليَنُورَ إذا تَوَضّحَ نُورَها وَدّ
الضُّحَى منْهَا أحمرَارِ خدود
إن اليَنورَ وقَدْ وَرَدَتْ رُضَابَهَا مُزِجَ
اللّمَى بِالكَوثَرِ المَورُود
إن اليَنُورَ وقد أنَارَ جَبينُها لمَجَالِ
أفكَارِي وصُبحَ هُجُودِي
وهي التي صَرّحْتُ حينَ دعوتُها بهلال
إفطاري وضَحوة عيدي[٦٢]

يصرح ملك غرناطة يوسف الثالث بالغزل الحسّي لينور وأنها من أجمل الفتيات اللواتي قابلهنّ، فنجده يصف لنا جمالها واصفاً قوامها بأغصان شجر (البَان) التي تعد مضرباً للمثال في النعومة والليونة، وأنها ذات بشرة بيضاء، ثم يكرر الشاعر بعض ألفاظ ومعاني الأبيات الشعرية كما في الشاهد السابق، قائلاً:

نَادَيْتُهَا إذ رَاعَ قلْبِي صَدُّهَا: لَيَنُور لا
يَرْضَى المَسيحُ صُدُودي
أوَ ما عَلِمْت بأنّ جُنْدَ صَليبَة يَصْلَى
لَهِيباً لَمْ يَدَنْ بِخُمُودِ
يتهَافَتُون عَلَى مَوَاقِدِهِ الّتي قَدْ
أضْرَمَتْهَا عَزْمَتي وجُنُودي[٦٣]

وأنّ الفتاة النصرانية قد سيطرت عليه ولم يعُد يستطيع التحكم بزمام أموره فقد أصبح ملكاً لها، واصطادت قلبه بنظرات عيونها الفتّاكة كالسّهام التي لا تخيب:

مَلكَتْ قِيادي عِنْدَهُم رُومِيّةٌ تَرْمِي
بِسَهْمِ للّحَاظِ سَدِيد
وقَدْ وَحَدَتْ دِينُ المَسيحِ فَلَمْ تَحُدْ
عِنْد بِكِتْمانٍ ولا بِجُحُودِ[٦٤]

وقد كان المسلمون في الآونة الأخيرة قد تأثروا بالديانة النصرانية وذلك بسبب انتشارها في الأندلس، لدرجة أن بعضهم كان يقطع يمينه بحياة المسيح، يقول القيسي:

فَقُلْتُ أخَافُ مِنْ إخْلافِ وَعْدِي فَقَالَ

مُؤَكِّـــــــدَاً لا وَالمَسِيـــــــــــحِ
فقُلتُ مَتَى تَنْعَـــمُ بِوَصْلِي فَإنّي نَحْـوَ
وَصْـــــــــلَكَ ذُو جَنُـــــــوحِ[٦٥]

فالمسـلمون في تلـك الآونـة كـانوا يضربون المثل بذكر ما يختص بمعتقدات الآخر النصراني لشدة تأثرهم بهم، ومن شدّة هيام ابن الخطيب في من يحب أصبح العشق في قلبه راسخاً مثل رسوخ الإنجيل في قلب القس:

لَقَدْ رَسَخَتْ آيُ الجَوَى في جَوَانحي
كَمَا رَسَخَ الإنْجِيلُ في قَلْبِ قِسِّيس[٦٦]

صورة جلية مستحدثة ومستوحاة من ديانة النصارى فيها إبداع وجمال، وما من دواء يشفي صدره وما ألمّ به من ألَم الحُب والعشق إلا مَسْحَة من طبّ سيدنا المسيح ومعجزة عيسى عليه السلام هي شفاء المرضى وإحياء الموتى:

طِبَّ المسيحِ لَدَيّ منه مسحةٌ
أيُقيمُ دَاءً كُلّمَا دَاوَيْتُهُ
أهدي لِمَنْ أبغي الشّفَاءَ مِنْ الجَوَى
فَيفِيقُ مُضْنَاهُ ويَحْيَى مَيْتُه[٦٧]

يجعل ابن الخطيب من نفسه حكيماً في علاج من أصابه داء الجَوَى (شدّة العشق)، ويجعل علمه في ذلك هدية يقدمها لمن يشاء فيصحو من أتعبه الحب ويحيى من قُتل بدائه.

وبهذا الكمّ الكبير من الشواهد الشعرية، اتضحت لنا الصورة التي كان عليها الآخر النصراني في شعر شعراء الأندلس فترة حكم بني الأحمر لمملكة غرناطة ومدنها، فقد أبدع الشعراء في نقل وقائع وأحداث تعدّ وثيقة أدبية تاريخية سياسية في الوقت نفسه. ولم يبخل علينا الشعر في تأكيد ذلك، فالآخر النصراني هو من عناصر المجتمع الأندلس التي كان لها الدور الفعّال في بناء دعائم مملكة غرناطة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. إلا أن الفرصة سنحت له بسبب تراجع عزم المسلمين في المحافظة على ملكهم الذي استمر ثمانية قرون واستغلّ الآخر النصراني تلك الحرية التي كانت تعد الفرصة الذهبية له، ونجح في ذلك لأسباب عديدة.

الخاتمـــة:

تناول هذا البحث صورة الآخر النصراني في الشعر الأندلسي في مملكة غرناطة (عصر بني الأحمر)، وقد بدأ هذا البحث بتعريف النصرانية وبيان المعنى الاصطلاحي والدلالي لهذا اللفظ وسبب التسمية وظهور ديانة النصرانية ونزولها على سيدنا عليه السلام، وعن أهم الأسماء التي أطلقت عليهم أثناء وجودهم في مملكة غرناطة فترة حكم بني الأحمر، ومن تلك الأسماء: المُسْتَعْرِبُون، أهلُ الذمّة، النّصارى والمسيحيون، وقد تمخّضت هذه الدراسة عن جملة من النتائج، أذكر أبرزها:

أولاً: تبيّن الأثر النفسي الذي غلب على ظهور صورة الآخر في أشعار الأندلسيين في تلك الحقبة الزمنية التي امتدت زهاء القرنين ونصف القرن (٦٣٨-٨٩٧ هـ)، وقد

شكّلت الدواوين الشعرية التي وصلت إلينا؛ مادّة غنية ودسمة من القصائد والمقطوعات الشعرية، التي بدورها أثرَت الأدب العربي بتفاصيل الصورة التي ظهر عليها ذلك الآخر المسيحي في تلك الحقبة الزمنية.

ثانياً: دور النصارى في دفع عجلة النمو الاقتصادي من تجارة وزراعة، وأن العلاقة بين المسلمين والنصارى المعاهدين علاقة طبيعية بحكم الاختلاط، ما ساهم في تبادل التأثيرات بين الجانبين، وقد أخذ هؤلاء النصارى أشياءَ كثيرة من التقاليد والعادات الإسلامية وتكلموا العربية، وأتقنوا كتابتها، واستعملوها في معاملاتهم الرسمية، واحتلوا مناصب مهمة لدى أمراء المسلمين. وكذلك بينت الدراسة جرأة بعض الشعراء والمسلمين في عشق الفتيات النصرانيات والتغزل بهنّ ومواعدتهنّ ليلاً والخروج معهنّ والسهر حتى الصباح.

ثالثاً: تمسّك الآخر النصراني في عصر بني الأحمر بعقائده التي نشأ عليها وحفاظه عليها وعدم انخراطه في الديانة الإسلامية التي فُتحت الأندلس من أجلها، بل استطاع أن يتغلب في نهاية الأمر ويسحب البساط من تحت المسلمين، وينقلب على حكمهم، وقد زودتنا المادّة الشعرية التي وردت من تلك الحقبة بأهم الشواهد التي تحدثت عن أهم العقائد والشعائر التي كانوا يقيمونها.

الهوامش:

(١) الدسوقي، نوال أحمد عبيد: **صورة الآخر في الشعر الأندلسي (أطروحة دكتوراة)**، إشراف الدكتور صلاح جرار، الجامعة الأردنية-عمان ٢٠١٢ م.

(٢) عبدالله، عبدالله محمد بلحاج: **التعايش الحضاري بين المسلم والآخر في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية (٩٢-٤٢٢هـ):** قراءة في حوار الحضارات (أطروحة دكتوراه)، إشراف الدكتور جمعة شيخة، جامعة تونس، تونس ٢٠١١ م.

(٣)ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم(ت٧١١هـ) **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م، انظر مادة (أخر، آخر).

(٤)الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) **كتاب العين**، ج ٤، ص ٣٠٣، ٣٠٤

(٥) البازعي، **سعد، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف** ط ١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨) ص ٣٢-٣٤

(٦) عبود، عبده: **الأدب المقارن مدخل نظري**، (د.ط) منشورات كلية الآداب، جامعة البعث، حمص، ص ٣٧١

(٧) آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز، (ت٨١٧هـ/١٤١٥م)، **القاموس المحيط**، (تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي)، ط ٦، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٨٢، ص٤٨٣

(٨) صالح، محمد عثمان، **النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير**، ط١، مكتبة ابن القيم، ١٩٨٩ م ص٤٤

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٤

(١٠) عبدالباقي، محمد يوسف: **التوحيد والتثليث بين الإسلام والنصرانية دراسة مقارنة**،

رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٥، ص ١٢-١٣

(١١) التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ج١، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة/ ١٩٣٩ ، ص ٦٣-٦٤.

(١٢) التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ص ٦٣-٦٤

(١٣)مؤنس، حسين، **فجر الأندلس**، الدار السعودية للنشر، جدة / السعودية ١٩٨٥ م. ص٢٣٥

(١٤) **القومس: اسم عربي مترجم لكلمة comes باللاتينية**، وتعني الزعيم أو الرئيس، وقد أنشأ المسلمون منذ الفتح هذا المنصب لزعماء النصارى في القواعد الإسلامية، ثم تطور فأصبح منصباً دينياً يرعى شؤون النصارى الروحية، انظر ابن الخطيب: **الاحاطة**، ج١، ص ١٠٣.

(١٥) الدوسري، أحمد ثاني، **الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر**، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٤م، ص ٧٨.

(١٦)الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده**، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ١٩٧٢ ص ٧٨.

(١٧)**التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ**، للدكتور: عبدالرحمن علي الحجي، ط١، ١٩٧٦، دار القلم/ بيروت، ص١٧٠.

(١٨) **المصدر نفسه**، ص ١٣٥.

(١٩)النوش، حسن أحمد، **التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الأندلس**، ط١، دار الجيل/ بيروت ١٩٩٢م، ص ٤٤.

(٢٠)ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبدالله التلمساني (ت٧٧٦ هـ)، **الاحاطة في اخبار غرناطة**، م ١، تحقيق: محمد عبدالله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١١٥-١٢٠.

(٢١)الدوسري، **الحياة الاجتماعية في غرناطة**، ص ٨١.

(٢٢) **صحيح البخاري**، تصنيف: الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الحديث/ القاهرة ص ٥٢٣

(٢٣) السمحراني، أسعد، **الإسلام والآخر**، دار النفائس، ط١، بيروت – لبنان /٢٠٠٥م، ص ٤٥-٤٦

(٢٤) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص ١٠٦

(٢٥)شيخة، جمعة، **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي (من سقوط الخلافة ق ٥ هـ/١١م إلى سقوط غرناطة ق ٩ هـ/١٥م)**، تقديم: محمد الطّالبي، (ج٢، الحُروب)، ط ١، المطبعة المغاربيّة للطّباعة والنشر والإشهار، تونس ١٩٩٤، ص ٢٤٧

(٢٦) ابن الأبّار، أبو عبدالله محمد القضاعي البلنسي: **الديوان**، قراءة وتعليق: عبدالسلام الهراس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥م، ص٣٣.

(٢٧) كركبول أو كركيول Car Cawaul من أقاليم قرطبة يبعد عن برجة في الشمال الغربي بعشر كلم، انظر: **لسان الدين بن الخطيب: الديوان**، ص١٠٣

(٢٨)حصن شوذر Godar كانت قلعة حصينة في شرق جيان وجنوبي آبدة بينهما ٢٥ كلم، انظر: **لسان الدين بن الخطيب: الديوان**، ص ٢٠١٩

(٢٩)ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبدالله التلمساني: **الديوان**، صنعه وحققه وقدّم له: الدكتور محمد مفتاح، م١، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩ م، ص ٣٣

(٣٠) أبو الحجاج (٧١٨-٧٥٥ هـ) ١٣١٨-١٣٥٤م يوسف بن اسماعيل ابن فرج بن اسماعيل الأنصاري الخزرجي - **سابع ملوك بني نصر.**
(٣١) لسان الدين بن الخطيب: **الديوان** م١، ص ١٠٣
(٣٢) القيسي، عبدالكريم بن محمد: **ديوان عبدالكريم القيسي الاندلسي،** تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات "بيت الحكمة" تونس، ١٩٨٨، ص٣٧.
(٣٣)لسان الدين بن الخطيب: **الديوان،** م٢، ص٦٦٩.
(٣٤) **المصدر نفسه،** ص ٤٢.
(٣٥) أبو زكريا يحيى بن هذيل التجيبي، **من أشياخ لسان الدين بن الخطيب،** انظر المقري، **نفح الطيب،** ج ٥، ص ٤٨٧-٤٨٨
(٣٦) **المصدر نفسه،** ص ٧٣١
(٣٧) ابن الأبّار، **الديوان،** ص٢٩٧.
(٣٨) **المصدر نفسه،** ص ١١١.
(٣٩) عبود، عبدالغني: **المسيح والمسيحية والإسلام،** سلسلة الإسلام وتحديات العصر - دار الفكر العربي - ط١، ١٩٨٤ م، ص ١٠٥، ٩٠.
(٤٠) **التوحيد والتثليث بين الإسلام والنصرانية،** محمد يوسف عبدالباقي، ص ٦٨
(٤١) النقراط، علي محمد ابن الجياب الغرناطي: **حياته وشعره، الدار الجماهيرية** للنشر والتوزيع والاعلان، ١٩٩٤ ص١٥٣-١٥٤
(٤٢) ابن الأبّار، **الديوان،** ص ٤٣.
(٤٣) **المصدر نفسه،** ص١٦٣.
(٤٤)**المصدر نفسه،** ص ٤٩.
(٤٥)**المصدر نفسه،** ص١٥٢-١٥٣.
(٤٦) **المصدر نفسه،** ص ٧٣١.
(٤٧) ابن الأبّار، **الديوان، ص٣٠٦.**
(٤٨)ابن الأبّار، **الديوان** ص١١٩.
(٤٩)**المصدر نفسه،** ص ٩٨.
(٥٠)**المصدر نفسه،** ص ٤٨.
(٥١)**المصدر نفسه،** ص٣٩٧.
(٥٢) ابن الأبّار: **الديوان،** ص ٣٣٩.
(٥٣) **المصدر نفسه،** ص٢٩٧.
(٥٤) القيسي: **الديوان،** ص٩٨.
(٥٥) ابن الأبّار، **الديوان،** ص٣٩٩.
(٥٦) الطريفي، يوسف عطا: **شعراء المغرب والأندلس،** ط١ الأهلية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن/٢٠٠٧ ، ص ٢٠٤.
(٥٧) ابن الأبّار: الديوان، ص٣٩٧، وانظر: الطريفي، يوسف عطا: **شعراء المغرب والأندلس،** ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان-الأردن/ ٢٠٠٧م، ص ٤٥.
(٥٨) ابن سهل: أبو إسحق إبراهيم بن سهل الإشبيلي (٦٤٩ هـ) **ديوان ابن سهل الأندلسي،** تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٤٢
(٥٩) الاحاطة، **ابن الخطيب، ج١،** ص ١٣٩
(٦٠) القيسي، **الديوان،** ص ٣٦.
(٦١) المصدر نفسه، ص ٣٩٨-٣٩٩.
(٦٢)يوسف الثالث، **ديوان ملك غرناطة،** ط٢، تحقيق: (عبدالله كنون) القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦٥ م ص ٣٦.
(٦٣) **المصدر نفسه،** ص ٥٥.
(٦٤) **المصدر نفسه،** ص ٥٤.
(٦٥) القيسي، **الديوان،** ص٣٩٩.
(٦٦) ابن الخطيب، **الديوان،** ج٢، ص٧٢٩.
(٦٧) لسان الدين بن الخطيب، **الديوان،** ص١٨٤.